هيكلاً لعبدة الاصنام. ومنها القبر المعروف بقبر بنت الملك وهو مدفن قديم. ومنها ايضاً قبور ومعاصر قديمة الى غير ذلك من الآخرية الدارسة

ولكن اعظم هذه الآثار قامة صربا التي لم يبق منها غير قسمها الاسفل وهو عبارة عن حجارة ضخمة تشبه حجارة دير القلعة. وكان سابقاً بجوار تلك العمارة اعمدة ورؤوس اعمدة وبقايا أخر من هيكل قديم(١ لانَّ هذه القلعة كانت معبداً للوثنيين وعملها كانت مخصَّصةً بعبادة سيرابيس. وقد اشتقَّ الكاتب كوتًا شكَّلدي (Ceccaldi) اسم صربا من اسم سيرابيس الهِ هذا الهيكل. وقد اكتُشف ايضاً في صربا وجونية على مسكوكات فينيقية وتماثيل وكتابات من جملتها كتابة يونانية في ركن بعض التماثيل كتب فيها (Ζεὺς ἐπουράνιος) اي « المشتري السماري »

فيظهر اذن مما تقدَّم انَّ جونية وصربا شُيدتا في موضع مدينة قديمة يرجَّح انهـا باليبلوس وكان معظمها فوق الصخور في محلّ صربا وكانت جونية كمرفإ لها منذ ايام الفينيقيين

شجرة الفردوس الارضي

حضرة الاب انستاس ماري دي سنت ابلي الكرملي البغدادي

ليس الغاية من هذه المقالة ان أُبيِّن للادباء هل كانت شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشرّ شجرةً واحدةً او شجرتين تتميَّز الواحدة عن الاخرى لانا نعلم بان المفسّرين قد اختلفوا في ذلك وانقسموا حزبَين كما هو مشهور(٢. ولا الغاية منها ان أُثبت لهم أيًّا من الاشجار كانت شجرة معرفة الخير والشرّ. فان الآراء قد كثرت في هذا الصدد وكلُّ جماعةٍ تؤيِّد رأيها ببراهين تقرُبُ من الصدق او تبعد عنهُ قليلاً او كثيرًا تبعاً لما فيها من قوَّة الاقناع. فمنهم من ادَّعى بانها نبتة الحنطة. وقالت جماعة بانها الكرمة. واثبتت فئة بانها

---

١) وقد نقل البنَّاؤون كثيرًا من هذه الحجارة فاتخذوها للبنايات المستحدثة كما فعلوا في دير القلعة. وهذا امر لا شكَّ يؤسف عليهِ فاذا داوم الاهلون على خُرقهم في تحطيم هذه الرسوم لم يبقوا عمَّا قليل في لبنان شيئاً من الآثار القديمة ٢) انَّ الكتاب المقدَّس يميِّز صريحاً بين شجرة الحياة وشجرة الخير والشرّ فلا يبدأ برأي من زعم انهما شجرة واحدة (المشرق)

شجرة التين وبين قوم بانها شجرة الكرز. وذهبت عصابة الى انها البرتقال الهندي وهو عندنا اسم الشجرة المعروفة عند الافرنج باسم (Pamplemousse). وقد ارضح جمهورٌ لا تُعَدّ افرادُه ببراهين جليّة نيّرة بانها شجرة التفّاح

وقد ارتأى فريق من علماء الانكليز الاعلام المحدثين بان شجرة الفردوس كانت البُرْهامة. وهذا الرأي الفاسد الساقط هو الذي أريد ان انتقدهُ هنا لقيامهِ على شفا جرفٍ هارٍ لا بل قد انهار. وكما ان مجرّد القول بفساد الشيء الفلاني وسقطهِ لا يكفي لاقناع العاقل فآتي السامع الناقد بالبراهين التي تثبت ذلك وهذا الذي حداني الى كتابة هذه الاسطر الوجيزة. فمن هذه البراهين :

١ً ان ليس للبُرْهامة ثمرة تستلفت الابصار. أو تستأسر الافكار. او يبهج منظرها العين. او يجذب عطرها اهل الزين والشين. فانك ان عرفت ما هي البُرْهامة. تعجبت من اناس يتمسكون بهذا الرأي وليس فيهِ من الحقيقة ما يُشبهُ ظلّ الغمامة. فالبرهامة شجرة من فصيلة الفرأشيات. من قبيلة الدرّات (Lotées). ومن ذلك تفهم بان ثمرها يكون في غُلْفٍ او يتفتّح لا تصلح للأكل ابدًا. بل ربّما صلح الزقّوم للاكل بالنسبة الى هذه. فكيف اذًا يعتقد العقلاء بانها كانت شجرة الفردوس وليس فيها شيء يجذب اليها النفوس. أيظنّ الانكليز انّ الاشجار تتحوّل عن اصلها وجنسها ونوعها كلّ يوم فتكون يد الطبيعة بمنزلة الألعوبة بيد الطفلة تمذقها كل يوم قذقة وتقلبها كل يوم قلبة. فهذا ممّا لا يُسلّم بهِ اهل النُهى

٢ً ان خبر وجود شجرة الفردوس في العراق لا يتعدّى سنة ١٨٦٢ م إنْ في الكُتُب ومَظانّ الأخبار. وإنْ في انتشارهِ بين ظهرانيّ اهل هذه الديار. فكيف يُمكن لانسان ان يقول هذا القول. ويتطاول هذا الطَوْل. أفيزعم انّهُ أُنزل وحيهُ على قلبهِ وعلى قلب غيرهِ في ساعةٍ واحدة من الزمان. لما في معرفة موطن الفردوس من الامور ذوات البال والشأن. فهذا ممّا لا يعتقد بهِ اولو العُرْفان

٣ً ان من يقف على كيفية شيوع خبر هذه الشجرة بانّها شجرة الفردوس يُضحك من عُقُول بعض السياح الذين يدوّنون الترّاتيب. بدون ان يتثبّتوا الامور ليطّلعوا على ما فيها من المعايب والشوائب. ويتقصّوا ما فيها من الحقائق الراهنة. او من دقائق الاكاذيب الراهنة. فانّ العلماء الذين يقولون بهذا الرأي الخالي من كلّ سند مكين. ويتزلزلهُ متزلة

الحق المبين. يزعمون بان من التقاليد الشائعة بين جمهور العراقيين من نصارى ويهود ومسلمين. انَّ الفردوس الارضي كان في البقعة المسماة اليوم بالقُرنة. والحال إنَّ هذا من الاختلاق المحض الذي لا اساس لهُ واليك تحرير الرواية واصلها وسبب نقلها عن ألسنة اهل العراق. على ما اثبتهُ لي احد الأثبات في هذا الصدد وهو الفاضل الاديب هنري زڤوبودا (Henri Svoboda) وكان قد شهد نشوء هذا الرأي الى ان بلغ اشدَّهُ وهو الى اليوم الكاتب الأوَّل في احد المراكب الانكليزيَّة في نهر دجلة

« ان شركةً انكليزيَّة وتسمَّى بشركة بواخر الفرات ودجلة الهندية المحدودة المبلغ (The Euphrates and Tigris Indian steam navigation Company Limited) كانت قد حصلت على امتياز تسيير بواخر في هذه الجهات بدُهاء لا يُعرَف إلَّا في الانكليز وليس هنا محلَّ تفصيلهِ. وكان مركزها الأولان: مدينة لندن (City of London) المسمَّى عند اهل بغداد مركب لندن. ودجلة (Tigris). وكان غرَّة سيرها في وادي السلام سنة ١٨٦٢ م ولمَّا كان الرُّبان هولند (M^r Holland) من الخبيرين في احوال نهر الزوراء انتدبتهُ الشركة الانكليزيَّة المذكورة ليكون ربَّاناً في مركب لُندُن. فقبل بذلك لانهُ كان يقبض راتباً من الحكومة الانكليزيَّة الهنديَّة لتقلُّدهِ (١ واخذ يتسلَّم مشاهرةً من هذه الشركة ايضاً

فبينما كان يوماً فرحاً مترنحاً إثر مشافهةٍ لبنت العُنقود. وإدامتهِ لرَوائح العلائم التي تشهد بفضلهِ جماعات من الشهود. وكان اهل المركب احاطوا بهِ عقوداً على عُقود. بين وُقوفٍ وقُعودٍ. اندفع في كلامهِ. ولا اندفاع السيل الركام في تدفقهِ وازدحامهِ. وذلك عند بلوغهِ المحلَّ المعروف بالصُّرَيفة عند اهل المضارب. على بُعد ساعةٍ فوق مشهد عزرا (٢ الكاتب. فقال ما معناهُ. مُتَّبعين في ذلك مَبْناهُ: « ألا وايمُ الله قد وصلنا بُقعةً قد شمل بها الأُنس. الجنَّ والإنس. طيِّبة الهواء. ناعمة الثرى. تنفي عن القلب كل جوىً. تلعب النسيم في رياضها. وتترقَّص الاسماك في حياضها. وتشدو الصوادح في غياضها. وتصفِّق

١) يقال تقعَّدهُ اي قام بأمرهِ والحكومة الانكليزيَّة تقوم بامر موظفيها بدون ان يخدموها بعد ان يكونوا قد بلغوا من العمر عدَّة من السنين.

٢) هو مقام يُكرِّمهُ اليهود ويزعمون انَّ فيهِ قبر عزرا صاحب السِّفرين المذكورين في التوراة (المشرق).

الاوراق عند مرور روحها على زلالها. وتتمايل الاطيار فرحاً على افنان اشجارها او تحت ظلالها. فترابها عنبر. وحصباؤها جوهر. وهو بين مُعَنْفَرٍ ومُزَعْفَرٍ. وشيطان ارضها وسنان. وملاكها يقظان. فما نحن هنا الا في فردوس عدن. صورة جنة الخلد ذلك الوطن. الذي قد نُفي عنهُ كل وهن ودرن»

فتقدم منهُ رولنصن يتهادى ويتهاذى. وقال لهُ: كيف يا صاح تقول هذا. فهل لك على ذلك. ادلة تُدعم بها نضيد مقالك. قال: نعم واليك ايضاح هذا المزعم. قد قيل في الكتاب الكريم المُنزل على موسى الكليم: « وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الفردوس. ومن هناك ينقسم فتصير اربعة رؤوس» وهذه الرؤوس الاربعة هي فيشون او سيحون وجيحون ودجلة والفرات. فانك تعلم علم اليقين الخالي من كل شبهة ومظنة. بان رؤوس دجلة والفرات هي عند قُرنة. واما سيحون وجيحون. فليسا إلا الصُوَيب وشطّ العرب المعروفان. لانَّ فردوس النعيم لم يكن بُقعةً صغيرة. بل كبيرة. قال رولنصن واخذ يتقصّى الخبر كل التقصّي: واين شجرة الفردوس. التي لا يمكنك ان تأخذ بها في الدَوْس(١. فجعل يلتفت يُمنى ويُسرى خائفاً من أن يُلبس ثوب الملامة. فرأى دَوْحة عمرها ستون سنة اسمها بُرهامة. قال: هذه هي شجرة الجنة يا ايها العَلَمُ العلّامة. والحبر البحر الفهّامة.

فما كان من رولنصن الا وثق تلك البراهين. معتقداً بانها لمذهبه الجديد بمثابة الاساطين. فاذاع سنتئذٍ رأيهُ في الجرائد والمجلات. وتبعهُ من الانكليز زوافرٌ بعد زوافر. لمنزلة رولنصن من العالم اذ يُعدّ من الأثبات الثقات. وزاد على ذلك بان محلّ الفردوس في نواحي القُرنة هو من تقليدات. اصحاب تلك البلاد على اختلاف المعتقدات. وما زال الخبر في ازدياد وانتشار. حتى اصبح الافرنج يقصدون هذه الديار. ليشهدوا ما فيها من اعظم الآثار. ألا وهي تلك الشجرة الغريبة بين جنس الاشجار. المعروفة بالبرهامة عند العرب. والسماة عند الانكليز بشجرة الفردوس الارضي لهذا السبب. فاعتبر ذلك أيها العاقل وأمسك نفسك عن الضحك. عمّا وقفت عليه من مختلقات الافك. وقل: « اللهمَّ نعوذ بك من شرّة اللسن. وفضول الهذر. كما نعوذ بك من معرّة اللكن. وفضوح الحصر. اللهمَّ آمين »

---

١) يقال اخذ في الدوس اي في تسوية الحيلة وترتيبها — عن الاساس.